

## قصة جمل جابر وقفات تربوية (2-4)

بقلم : عبد الآخر حماد

ذكرنا في الحلقة الماضية بعضاً من جوانب التربية النبوية المستنبطة من قصة جمل جابر ونستكمل في هذه الحلقة بقية تلك الجوانب فنقول وبالله التوفيق :

3- وفي هذه القصة أيضاً حرصه صلى الله عليه وسلم على كل ما يديم العشرة بين الزوجين ،وبيانه لمكانة المرأة في الإسلام ،وحرصه على مشاعر النساء ،وما يصلح من شأنهن ،حيث أقام في صرار يوماً حتى تعلم نساء الصحابة بقدم أزواجهن فتهيأ كل امرأة لزوجها ،ولذلك قال لجابر : (أما إنا لو قد جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت ،وأقمنا عليها يومنا ذاك ،وسمعت بنا فنفضت نمارقها)،وفي رواية ( فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل ،فقال: أمهلوا حتى ندخل ليلاً ،أي عشاء، كي تمتشط الشعثة ،وتستحد المغيبة).

وقد وردت أحاديث في النهي عن أن يطرق المسافر أهله ليلاً؛ فعن أنس رضي الله عنه : ( أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يطرق أهله ليلاً ،وكان يأتهم غدوة أو عشية )<sup>(17)</sup>،وفي إحدى روايات حديث جابر مرفوعاً : ( إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً )<sup>(18)</sup>.

وليس هذا النهي مخالفاً لقوله صلى الله عليه وسلم : (أمهلوا حتى ندخل ليلاً )؛لأن المقصود فقط هو عدم قدوم الرجل على أهله فجأة ،وذلك للعلة التي ذكرت في الحديث ،وهي أن تتمكن المرأة من تهينة نفسها لزوجها،وهناك علة أخرى : وهي أن قدوم الرجل فجأة قد يكون فيه معنى التخون والشك في زوجته ،وقد وردت تلك العلة صريحة

(17) أخرجه البخاري (1800) ومسلم (1928).

(18) البخاري (5244) ومسلم (715) كتاب الإمارة باب كراهة الطروق ليلاً(183).

في إحدى روايات حديث جابر ولفظها : ( نهى رسول الله أن يطرق الرجل أهله ليلاً ، يتخونهم أو يلتمس عثرائهم )<sup>(19)</sup> .

ولكن اختلف في قوله : ( يتخونهم أو يلتمس عثرائهم ) هل هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم أم هو مدرج؟<sup>(20)</sup>، وعلى كل حال فالمقصود أن لا يباغت الرجل أهله بالقدوم ، فأما إن كان قد أعلمهم بموعده قدومه فلا بأس أن يقدم عليهم في أي ساعة من ليل أو نهار ، قال الإمام النووي : (( ومعنى هذه الروايات كلها أنه يكره لمن طال سفره أن يقدم على امرأته ليلاً بغتة ، فأما من كان سفره قريباً تتوقع امرأته إتيانه ليلاً فلا بأس ، كما قال في إحدى هذه الروايات : ( إذا أطال الرجل الغيبة ) ، وإذا كان في ققل عظيم أو عسكر ونحوهم ، واشتهر قدومهم ووصولهم ، وعلمت امرأته وأهله أنه قادم معهم ، وأنهم الآن داخلون ، فلا بأس بقدومه متى شاء لزوال المعنى الذي نهى بسببه ، فإن المراد أن يتأهبوا ، وقد حصل ذلك ، ولم يقدم بغتة ))<sup>(21)</sup> .

ويؤخذ من الحديث أيضاً كراهة مباشرة الرجل للمرأة في الحالة التي تكون فيها غير متنظفة لئلا يطلع منها على ما يكون سبباً لنفرتة منها<sup>(22)</sup> .

كما أن في قوله صلى الله عليه وسلم لجابر : ( هلا تزوجتها بكرةً تلاعبها وتلاعبك ) وفي رواية ( تضاحكك وتضاحكها ) ، استحباب ملاعبة الرجل امرأته وملاطفته لها ومضاحكتها ، وفي ذلك تعليم وإرشاد إلى كل ما يديم المحبة والتواد بين الزوجين ، وفيه الحرص على مشاعر المرأة وإشعارها بقيمتها ، وفيه أبلغ رد على أهل الزيغ والضلال الذين يزعمون أن الإسلام قد غمط المرأة حقوقها ، وأن جاهليتهم المعاصرة هي التي كرمت المرأة وأعطتها حريتها وأعلت من شأنها .

---

(19) مسلم (715) كتاب الإمارة باب كراهة الطروق ليلاً (184).

(20) فتح الباري ( 340/9 ) .

(21) شرح صحيح مسلم : ( 82-81/7 ) .

(22) انظر : فتح الباري : (340/9).

4- إن مما يستفاد من تلك القصة أن الممارسة العملية من أهم الوسائل التعليمية التي كان يمارسها الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإن مما ذكره العلماء من فوائد هذا الحديث جواز المساومة لمن يعرض سلعته للبيع، والمماكسة في المبيع قبل استقرار العقد<sup>(23)</sup>، حيث ساوم رسول الله صلى الله عليه وسلم جابراً على الثمن مراراً حتى تراضيا كما مر بالحديث، فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم في ذلك أن يبين للأمة جواز ذلك عملياً، ولا شك أن التعليم بالفعل والعمل أقوى وأبلغ أثراً من مجرد التعليم بالقول والبيان، وقديماً قال بعض الحكماء: فعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل.

وإن من شواهد ذلك ما جاء في قصة صلح الحديبية من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه: ( قوموا فانحروا ثم احلقوا )، قال الراوي: ( فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدُنك ثم تدعو حالك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم فلما فعل ذلك نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً... )<sup>(24)</sup>.

5- وفي الحديث أن من وسائله صلى الله عليه وسلم في التربية اكتفائه بالتعريض والإشارة في تعليم ما يستحيا منه؛ حيث قال جابر: ( فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كئيباً )، فإنه قد قصد بالعمل الكيس الجماع، والحث على ابتغاء الولد، كما نبه عليه البخاري وغيره، ومما يدل على ذلك قول جابر: ( فحدثت المرأة الحديث، وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: فدونك فسمع وطاعة )، وفي رواية: ( فقلت للمرأة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أعمل عملاً كئيباً، قالت سمعاً وطاعة، فدونك، قال فبت معها حتى أصبحت )<sup>(25)</sup>.

---

(23) فتح الباري: (321/5).

(24) من حديث المسور بن مخرمة مروان بن الحكم عند البخاري (2731)، (2732).

(25) عزها الحافظ لصحيح ابن خزيمة، انظر فتح الباري: (342/9).

وفي هذا بيان ما ينبغي أن يكون عليه الدعاة والمربون والمسلمون عموماً من الحياء وعفة اللسان، والاكتفاء بالتعريض والتلميح عند الحديث عن أمور الجماع ونحوها، ولا يخفى أن محل ذلك حين لا تدعو الحاجة إلى شيء من التصريح، إما إذا كانت هناك ضرورة أو حاجة فلا بأس بذلك؛ كما في قصة ما عزم لما جاء مقرأً بالزنا حيث استفصل منه النبي صلى الله عليه وسلم ببعض الألفاظ الصريحة عما فعله<sup>(26)</sup>.

وإنما كان غرضه صلى الله عليه وسلم من هذا التصريح التأكيد من وقوع الزنا منه حقيقة، ودرء كل شبهة؛ لأن المقام هنا مقام إقامة حد من حدود الله، ولذلك استدل الحافظ ابن حجر بهذه الرواية على أن محل وجود الحياء منه صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك في غير حدود الله<sup>(27)</sup>، كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوا)، وفي رواية (فأعضوه بمن أبيه ولا تكنوا)<sup>(28)</sup>.

(( ومعنى قوله: من تعزى بعزاء الجاهلية، يعني يعتزى بعزواتهم، وهي الانتساب إليهم في الدعوة مثل قوله: يا لقيس يا ليمن، ويا لهلال ويا لأسد ))<sup>(29)</sup>، والهنُّ هو الذَّكر، والمقصود أن يقال له: اعضض بذكر أبيك، دون تكنية تنكياً وزجراً له<sup>(30)</sup>.

وللحديث بقية بإذن الله

---

(26) أخرجه البخاري (6824) وأبو داود (4427) من حديث ابن عباس.

(27) فتح الباري: 577/6.

(28) أخرجه أحمد (136/5) والبخاري في الأدب المفرد (1936) والطبراني (532) من حديث أبي بن كعب، وصححه ابن حبان (3153) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (3/3) رجاله ثقات، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (269).

(29) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: 422/28.

(30) فيض القدير للمناوي: 357/1.